مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (10) العدد (14) 2026
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (14) 2026

الحقول الدّلاليّة في شعر عمر أبو ريشة
الرّثاء أنموذجاً

د. بانا بلال شباني*

د. محمّد حسن يونس**

هبه علي ضامر***

(تاريخ الإيداع 3/16 /2026. قُبِل للنشر في 6/22 /2026)

□ ملخّص □

يشكّل الرّثاء حقلاً دلاليّاً بارزاً في شعر عمر أبو ريشة، فقد فرّغ فيه الشّاعر عاطفته أمام الفَقْد بسبب الموت، فتجاوز مرحلة الرّثاء التّقليديّ المقتصر في البكاء على الميت، وتعداد مناقبه؛ إذ كان الرّثاء لديه نوعاً من أنواع التّأمّل الوجوديّ والفلسفيّ العميق في ثنائيّة الموت والحياة، وما يؤول إليه مصير البشر في هذا الوجود، فقد استطاع أبو ريشة أن يزاوج بين صدق العاطفة وسموّ الفكرة، وحرارة الفَقد، ودمجهم في نصّ إبداعيّ رثائيّ محمّل بالإنسانيّة.

إنّ رثاء عمر أبو ريشة أمَّه، وأخته، وبعض أصدقائه كان محمّلاً بنغمات الألم وآهات الفَقْد، ممّا جعلنا أمام تذوّق رهافته، وعمق إحساسه، ولاسيّما حين امتدّ هذا الرّثاء ليشمل الرّثاء الوطنيّ والقوميّ، وهو جانب واضح في قصائده؛ إذ رثى الزّعماء والأبطال الذين اكتنزت سيرتهم بقضايا الحرّيّة والكرامة، فكان رثاؤه لهم مزيجاً من الفخر والأسى، ومن الاعتزاز ببطولتهم والحزن على فراقهم، والحنين إليهم.

وقد حقّق الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة توازناً بين الذات والموضوع، حين عبّر في حزنه الشّخصيّ عن وعي جمعيّ وقوميّ، فصار رثاؤه مدخلاً للتّعبير عن هموم وطنه، بل هموم الإنسانيّة كلّها؛ فقدّم صوراً رثائيّة مميّزة، مفعمة بحرارة الشّعور، وسموّ اللغة، ومتماهية مع الوفاء للمرثيّ، والإيمان بالحياة، فكان هذا الرّثاء مرآة روحيّة عكست نُبل الشّاعر، وأعماقه النّابضة بالعاطفة والكرامة والجمال.

الكلمات المفتاحيّة: الحقل، الدّلالة، الرّثاء، الوجدان.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة تشرين، اختصاص فقه اللغة .

** مدرّس في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة تشرين، اختصاص علم اللغة.

*** طالبة دكتوراه – قسم اللّغة العربيّة – كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقيّة .

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (10) العدد (14) 2026
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (14) 2026

Semantic Fields in the Poetry of Omar Abu Risha Elegy as a Model

Dr.. Bana Bilal Shabani*
Dr.. Muhammad Hassan Younis**
Heba Ali Damer **

(Received 16/3 /2026. 22 /6/2026)

□ ABSTRACT□

Elegy constitutes a prominent semantic field in the poetry of Omar Abu Risha, as the poet poured out his emotion in the face of loss due to death, thus going beyond the stage of traditional elegy limited to crying over the dead and enumerating his virtues, Since his elegy was a kind of profound existential and philosophical contemplation on the duality of death and life, and what the fate of humans leads to in this existence, Abu Risha was able to combine the sincerity of emotion, the sublimity of thought, and the heat of loss, and integrate them into a creative elegiac text laden with humanity.

Omar Abu Risha lost a number of people closest to him, including friends, family, and loved ones, at different stages of his life. His elegy was an expression of deep, personal inner pain, engraved in his heart, but it transcended the scope of individual grief and opened up to the horizons of collective sorrow, reflecting the status of the deceased in relation to the poet.

Omar Abu Risha's elegy for his mother, sister, and some of his friends was laden with tones of pain and sighs of loss, which made us appreciate his sensitivity and the depth of his feeling, especially when this elegy extended to include national and patriotic lament, which is a clear aspect in his poems, He mourned the leaders and heroes whose lives were filled with issues of freedom and dignity, and his eulogy for them was a mixture of pride and sorrow, of pride in their heroism and sadness at their departure, and longing for them.

In Omar Abu Risha's poetry, elegy achieved a balance between the self and the subject, as he expressed in his personal grief a collective and national consciousness, so his elegy became an entry point for expressing the concerns of his homeland, indeed the concerns of all humanity, He presented distinctive elegiac images, full of heartfelt emotion, sublime language, and in harmony with loyalty to the deceased and faith in life. This elegy was a spiritual mirror that reflected the nobility of the poet and his depths pulsating with emotion, dignity, and beauty.

Keywords: field, meaning, lament, emotion.

* Assistant Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, specializing in Philology.
** Lecturer in the Arabic Language Department, Faculty of Arts, Tishreen University, specializing in linguistics.
*** PhD student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia.

1- مقدّمة:

القصيدة الرّثائيّة قصيدة مليئة بالحزن ومشحونة بانفعالات كثيرة مضطرمة في أعماق الرّاثي، يشوبها الحنين والألم والحزن، والشّاعر عمر أبو ريشة أجاد في غرض الرّثاء، ولاسيّما عندما جعله بوحاً إنسانيّاً ممتدّاً؛ لذا آثرنا الخوض في غرض الرّثاء لديه بوصفه حقلاً دلاليّاً مهمّاً من الحقول الدّلاليّة التي بنى الشّاعر شعره وفقها، فكان هذا البحث بعنوان: (الحقول الدّلاليّة في شعر عمر أبو ريشة – الرّثاء أنموذجاً)، رغبة في إبراز الجانب الجماليّ لرثائه المتجاوز للرثاء الشّخصيّ، والدّاخل في نطاق تعميم أثر فَقْد المرثيّ على الأمّة والآخرين، بهدف الوصول إلى رثاء له أفق جمعيّ يزيد من وطأة الفَقْد.

1-1: أهمّيّة البحث:

تمثّلت أهمّيّة البحث في إبراز البنية المعجميّة للحقل الدّلاليّ للرّثاء، بوساطة تحليل وحداته وفق مبادئ علم الدّلالة، وتحديد العلاقات الدّلاليّة بين مفردات الحقل للكشف عن آليّة تشكيل المعنى داخل شبكة لغويّة مترابطة.

1-2: هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحديد المفردات الدّالّة على الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة، وتحليل العلاقات الدّلاليّة داخل حقل الرّثاء، والكشف عن الموقف الوجدانيّ للشّاعر من خلال شبكة الحقول الدّلاليّة.

1-3: منهج البحث:

يستند البحث إلى المنهج الوصفيّ في دراسة الحقول الدّلاليّة لغرض الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة، وترتيب المفردات الخاصّة بهذا الحقل، وتحليل العلاقات التي كوّنتها.

1-4: منهجيّة البحث:

اقتضت منهجيّة الدّراسة أن يُبنى البحث على مقدّمة، ودراسة نظريّة تعريفيّة للحقول الدّلاليّة، ومن ثمّ دراسة حقل الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة، وانتهت الدّراسة بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

2- مفهوم الحقل الدّلالي:

يتكوّن الحقل الدّلاليّ من مفردتين هما:

- الحقل.
- الدّلالة.

وللمفردتين معانٍ معجميّة لغويّة، وأخرى اصطلاحيّة، نُبيّنها وفقاً للآتي:

2-1: الحقل لغة:

جاء في معنى الجذر (حقل) ما يأتي: الحقل: الموضع البكر الذي لم تتمّ زراعته قبل ذلك[1]. فالحقل هو المساحة المحدّدة التي تمتدّ على طولٍ ما، وعرضٍ ما، ولها تضاريسها وحدودها.

2-2: الحقل اصطلاحاً:

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، اعتنى بتصحيحه أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م، مادّة (حقل).

هو "العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصّفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّاً تُصنّفُها –ضمنَ لفظٍ عامّ في زمن محدّد– لغةٌ معيّنةٌ محدّدةٌ"[1].

فالحقل مجال دلاليّ لجزئيّات ترتبط فيما بينها بصلة ما، وهذه الجزئيّات قد تكون كلماتٍ أو محسوسات، أو مجرّدات، أو أفعال، أو غير ذلك، فالحقل في لغة الاصطلاح حقل ممتدّ متّسع، وله في كلّ مجال مساحة خاصّة؛ لأنّ الانطلاق من الرّؤية العامّة للأجزاء يسهّل فهم علاقة الأجزاء بعضها مع بعض؛ ولذا كان الحقل عند اللغويّين عالماً من العطاء؛ لأنّه يهب الدّارس والمتلقّي كثيراً من المستويات المعرفيّة المتعلّقة بالدّلالات المتنوّعة.

2-3: الدّلالة لغة:

وردت في لسان العرب تحت الجذر اللغويّ (دلل)، وفيها: "الدّليل ما يستدلّ به، والدّليل: الدّالّ، وقد دلّه على الطّريق يدلّه دلالة بفتح الدّال أو كسرها أو ضمّها، والفتح أعلى... والدّليل والدّليلي الذي يدلّك.. والدّليلي علمه بالدّلالة ورسوخه فيها، ... أدلّة: جمع دليل"[2]، فالمعنى لدى ابن منظور انحصر في نطاق العلم والإرشاد.

2-4: الحقل الدّلاليّ:

شكّلت الحقول الدّلاليّة محاور مهمّة في ميدان التّأسيس لمعالجات كثيرة تستدعيها تلك الحقول، ويمكن الوقوف على مفهومه وفق الآتي:

الحقل الدّلاليّ "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عامّ يجمعها"[3]، وهذه الكلمات لها حضورها القويّ في فتح المجال للاتّساع الدّلاليّ، وتعميق فاعليّات الدّلالات المختلفة، ويرى ليونز أنّ الحقل اللغويّ "مجموعة جزئيّة لمفردات اللغة"[4]، إنّها مجموعة تربطها حدود منظّمة. والحقول الدّلاليّة تستدعي العلاقة بين الدّالّ والمدلول، وهي علاقة موجودة منذ الأزل، فهناك دائماً ارتباط بين هيكليّة القول وصياغته، وما يؤدّيه من دلالة.

3- حقل الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة:

الرّثاء غرض شعريّ يبرز المواقف والمشاعر تجاه فَقْد الإنسان لمن يحبّ، فهو مرتبط بالفَقْد والموت، وقد رسمه الشّعراء بدموعهم فخلّدوا ذكرى الأبطال والأحبّة، وحرّكوا الوجدان الإنسانيّ العميق، مبرزاً قيم الوفاء وفلسفة الإنسان في مواجهة الفناء، فالرثاء بكاء على الميّت وذكر لمآثره وفضائله وأخلاقه، وتخليد له في الذّاكرة الجماعيّة، فكان الرّثاء سجلاً وجدانيّاً لتجربة الموت، ووسيلة التّفريغ الانفعاليّ، و "مهما يكن، فأبيات أبي ريشة غاية في الرّقّة والسّلاسة، تكاد كلماتها تسيل دموعاً، وتنسكب في صمت، مصحوبة بنشيج باطني يشبه نزيفاً داخليّاً بطيئاً، يتسرّب إلى الأعماق حتّى يقضي على صاحبه"[5]، وقد ورد الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة في موضوعات عدّة، منها: رثاء الأهل والأقارب، ورثاء رجال الدّين، ورثاء القادة والزّعماء، ورثاء رجال العلم والأدب، ورثاء الأصدقاء، كقوله[6]: [من الوافر]

ألا يا مصطفى لا كان يومٌ به تبكي عليك المسلمونا

---

[1] عبد الجليل، عبد القادر: علم اللسانيّات الحديثة، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م، ص370.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مادّة (دلل).

[3] عمر، أحمد مختار: علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م، ص79.

[4] عمر، أحمد مختار: علم الدّلالة، ص79.

[5] دندي، محمّد إسماعيل: عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحيّاته، دار المعرفة، دمشق – سورية، ط1، 1408هـ- 1988م، ص112.

[6] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة- القصائد، تحقيق: فايز الدّاية، وسعد الدّين كليب، ومحمّد قجّة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق – سورية، ط1، 2017م، ص134-135.

نفضتَ من الحياة يدي رجاء وقلتَ لها اخدعي من تَخدعينا

كأنّك كنت لقماناً عليها طعنتَ من السّنين بها مئينا

حنَى الدّين الحنيفُ الرّأسَ حزناً كما يَحني الرّؤوسَ العابدونا

الشّيخ مصطفى نجا "كان مفتي بيروت، وله مواقف واهتمامات اجتماعيّة وتعليميّة، وكان ممّن نادوا بعدم فصل لبنان عن الوطن الأمّ سورية، عندما حلّ الانتداب الفرنسيّ، وأعلن غورو دولة لبنان الكبير"[1]، وقد تعايشت شخصيّة الشّاعر مع شخصيّة المُخاطَب، وأصبح هذا التّعايش رؤية مؤطّرة لمُجمل الأحداث عبر الذاكرة العربيّة، مُفصحة عن الحقبة التّاريخيّة التي احتضنت الأحداث التي حمّلها الشّاعر نظمه.

إنّ الشّخصيّة الدّينيّة التي احتضنها النّصّ السّابق تحدّثت عن شيخ مُجيد لأصول الدّين، معروف بتقواه وورَعِه، إنّه شخصيّة تماهت – كما رسمها الشّاعر– مع شخصيّة لقمان في قوله: (كنت لقماناً عليها)، معطياً المُشبّه صفات لقمان الحكيم، مُبرزاً حكمة الشّيخ، مُعمّقاً فاعليّته في المجتمع.

وقد استحضر الشّاعر الحقل المعجمي للرّثاء المكوّن من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الرّثاء
تبكي، حزناً، يحني،

يبرز الرّثاء وحديث الفَقْد بشكل واضح في قوله: (لا كان يوم به تبكي عليك المسلمون)، وهذا يبرز البُعد العاطفيّ للفقيد وتأثيره على الأحياء، فالشّاعر استخدم الأفعال نحو: (نفضت من الحياة يدي)، ممّا يبرز الاستسلام للحزن واليأس من عودة الفقيد، ونجد محاولة لتخليد ذكره عبر التّذكير بدوره في الحياة (كأنّك كنت لقمان) مشيراً بذكر لقمان إلى تلك الحكمة التي تحلّى بها، فالنّصّ يمتزج بين الوفاء والتّخليد، لكنّه في الوقت ذاته يذكر (الدّين الحنيف)، (العابدون) ليُضفي بُعداً دينيّاً واضحاً على الرّثاء؛ إذ يربط الوعي الدّينيّ بالفَقْد، محاولاً إشراك الأمّة في الحزن والوفاء؛ ليعمّق أثر هذا الوفاء بقوله: (المسلمون)، معبّراً عن مكانة الفقيد المرموقة، جاعلاً الرّثاء مساحة تأمّل في الفضائل والجمال الدّاخليّ.

لقد حمل الرّثاء الذي باح به الشّاعر تُجاه الشّخصيّة الدّينيّة المتمثّلة بالشّيخ مصطفى نجا، كثيراً من لواعج الفَقْد؛ لأنّ الفَقْد ليس فقط فَقْد إنسان إنّما هو فَقدٌ لكلّ ما يكتنزه هذا الإنسان من علوم ومعارف دينيّة، وهذا يعني خسارة على المستوى المعرفيّ والدّينيّ.

ولم يقتصر رثاء عمر أبو ريشة على الشّخصيّات الدّينيّة، بل رثى أيضاً الشّخصيّات السّياسيّة وكان لكلّ شخصيّة حضورها الخاصّ في المرحلة السّياسيّة التي كانت فاعلة بها؛ لذا عندما ماتت الشّخصيّة السّياسيّة تركت أثرها في أعماقه، وهذا ما دفعه إلى رثائها، ومن بين مرثيّاته لتلك الشّخصيّات ما نجده في قوله في حفل

[1] المصدر السّابق، ص136.

تأبين السّياسيّ النّبيل الزّعيم سعد الله الجابري، وكان الشّاعر على الرّغم من احترامه يتصدّى له وينتقده[1]: [من المتدارك]

أيّ قبرٍ وقفتُ أرنو إليه والأسى مالكٌ عليَّ قيادي

لم يزل تربُه يرفُّ نديّاً بين شتّى كَمائمِ الأورادِ

إنّ سعداً هنا! فيا مُقلة العزّ أفيقي على صلاةِ الحدادِ!

نلاحظ الحقل المعجميّ للموت واضحاً في الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الموت
قبر، الأسى، تربه، الحداد

وقد بُنيَ هذا الحقل على علاقات دلاليّة شتّى، منها الاشتمال في قوله: (كمائم، الأوراد)، فكانت كمائم الزّهر، والأوراد مسار ترادفي يبرز تواصليّة الشّحنات الانفعاليّة بين طرفي هذه الثنائيّة التي تبرز استمراريّة عمق الفقيد رغم الفَقْد، فالشّاعر صوّر التّربة الطّريّة التي تعكس الحزن، والرّحيل القريب الموجع، والاعتراف به، فقال: (لم يزل تربه يرفّ نديّاً)، ويُشير إلى الماضي كزمن انتهى، ويضيف بُعداً دينيّاً للوفاء؛ لذا جاء بقوله: (أفيقي على صلاة الحداد) مشيراً إلى صيغة التّرحّم التي تكسب الحداد بُعداً دينيّاً واجتماعيّاً معاً.

وهذه العلاقات تُفصح عن الدّلالة المليئة باعتزاز الشّاعر بالشّهداء، والمرثيّ أحدهم، وإيمانه بثواب الله العظيم.

وفي قوله راثياً سعيد العاص الذي استشهد في جبل النّار في فلسطين[2]: [من الخفيف]

يا شهيدَ الجِهادِ يا صَرخَةَ الهَولِ إذا الخيلُ حَمحَمتْ في السّاحِ!

أيْ فتى المجدِ، إنّه العمرُ، يومٌ لخسارٍ، وآخرٌ لرباحِ

جبلَ النّارِ لن تنامَ كما نمتَ جريحَ العُلى كسيحَ الطّماحِ

نعلم تماماً أنّ سعيد العاص بطل ولد في حماه، "وكان ضابطاً شارك في حرب البلقان العثمانيّة، ثمّ كان من قادة الثّورة العربيّة والحكومة العربيّة في دمشق 1918، شارك في الثّورة السّورية الكبرى ضدّ الاحتلال الفرنسيّ1925م، ثمّ شارك في ثورة 1936م في فلسطين، واستشهد في معركة الخضر"[3].

وقد استحضر الشّاعر الحقل الرّثائي الآتي:

الألفاظ الدّالّة على الرّثاء
شهيد، صرخة، الهول، العمر، خسار، آخر

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص70-71.

[2] المصدر السّابق، ص80-81.

[3] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص81.

وقد كوّنته جملة من العلاقات الدّلاليّة، فالنّصّ يترابط فيما بينه عبر علاقات نحويّة متعدّدة، أو عبر علاقات دلاليّة، يعتمد عليها من يقوم بوصف النّصّ وتحليله[1]، ومن هذه العلاقات:

التّضاد: بين (خسار، رباح)، (لن تنام، نمت)، (جريح العلى، كسيح الطّماح).

وهذا يشير إلى عمق أثر المرثي البطل في الشّاعر الذي رثاه، مُمجّداً استشهاده، إذ يمدح الشّاعر الشّهيد واصفاً بطولاته، مصوّراً ألم الفَقْد، جامعاً بين فنّي المدح والتّأبين، فهو يمزج الحزن على الفَقد مع تقدير بطولة الشّهيد وشجاعته؛ لذا صرّح ببطولة استشهاده بقوله: (يا شهيد الجهاد)، فهو قد قضى نحبه في سبيل قضيّة سامية، لكنّه في الوقت ذاته قال: (صرخة الهوى إذا الخيل حمحمت في السّاح)، مشيراً إلى صوت المعركة والرّهبة التي تعكس لحظات البطولة والشّهادة، ثمّ يقول: (جبل النّار لن تنام كما نمت جريح العلا كسيح الطّماح)، مُشبّهاً الموت بالثبات أمام الألم، وكان ذلك نبرة حزن واضحة تشي بجراح الرّوح التي عمّقها الحبّ؛ لذا استعان الشّاعر بالتّرادف (الصّرخة، الهول) للإشارة إلى الرّعب وترسيخ أثر الفقد الذي تجلّى أيضاً في (الخسار، الرّباح) ضمن ثنائيّة تضاديّة أثارت الخيال إلى ربح حضوره وخسارة فَقْده.

وكان العقيد عدنان المالكي من الشّخصيّات التي رثاها عمر أبو ريشة، وهو ضابط دمشقي، "شارك في حرب فلسطين عام 1948م، وأبلى فيها بلاء حسناً، أسهم في الجيش العربي السّوري بعد الجلاء والاستقلال، وكان له موقع متميّز، اغتيل 1955م، في أثناء رعايته مباراة رياضيّة في الملعب البلدي بدمشق"[2]، فرثاه الشّاعر بقصيدة منها قوله[3]: [من الخفيف]

لا تَحُلْ بين جَرْحِهِ وضِمادِه ... وترفَّقْ إنْ كنتَ من عُوَّادِهْ

لم يَزَلْ فيهِ للجهادِ بقايا ... عزماتٍ موصولةٍ بجهادِهْ

زينُ أحبابه، وزينُ حُماة الدّارِ، ... مُلْقَى على خضيبٍ وِسادِهْ!

غابَ عدنانُ يا إباءُ ويا زَهْو ... فلا تحلما بيومِ مِعادِهْ

وقد كوّن النّصّ السّابق حقلاً دلاليّاً للرّثاء، تمثل في الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الرّثاء
جرحه، ضماده، عوّاده، بقايا، ملقى، معاده، غاب

و "أيّ حقل دلاليّ يتكوّن من مجموعة من المعاني، أو الكلمات المتقاربة التي تتميّز بوجود عناصر أو ملامح دلاليّة مشتركة، حتّى تكتسب الكلمة معناها في علاقتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المدروس؛ لأنّ

[1] يُنظر: هانيه، فولفجانج، ديتر، مان: مدخل إلى علم لغة النّصّ، ترجمة: حسن بحيري، زهراء الشّرق، القاهرة – مصر، ط1، 2004م، ص39.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص133.

[3] المصدر السّابق، ص130–131.

الكلمة لا معنى لها بمفردها"[1]، وقد ربط الشّاعر عناصر قصيدته بعلاقات دلاليّة عدّة، منها: التّضاد في قوله: (جرحه، ضماده)، والتّرادف في قوله: (إباء، زهو)، وهذا يُشير إلى عمق تأثّر الشّاعر باستشهاد عدنان المالكي.

يمزج الشّاعر بين المدح الوطنيّ والفخر بالبطولة، والتّحريض على المقاومة والنّضال، ففي قوله: (لا تحل بين جرحها وضماده)، تصوّر للحزن والألم ولمسة التّوسّل لعدم اعتراض سبل الخلاص، وفي قوله: (لم يزل فيه للجهاد بقايا عزمات موصولة بجهاده) تمجيد للبطل، وتخليد لإرادته وفعله البطوليّ؛ ويعلن ضآلة حضور الجميع أمام بطولته، ولاسيّما عندما جعله الشّاعر (زين أحبابه وزين حماة الدّيار)، مبرزاً روعة الفقيد؛ لذا استحضر التّرادف بين (جهاد، عزمات) معلناً التّماهي بين الإرادة والجهد النّضالي في سبيل القضيّة، وإبراز لجمال الفقيد جسديّاً ومعنويّاً بلغة وطنيّة بطوليّة لها دورها في بثّ شعور التّعظيم والرّثاء البطوليّ.

وقال في رثاء إبراهيم هنانو[2] من قصيدة له[3]: [من الوافر]

هنانو أيّ سيفٍ غيَّبتهُ يدُ الأقدارِ في غِمدِ اللُّحُودِ

صريعَ الموتِ هل أبقيتَ سهماً ولم تقذُفْهُ بالعزمِ الشّديدِ

فَنَمْ في راحةٍ واعذرْ بياناً كَبا في زحمةِ الألمِ الشّديدِ

لا يخفى على أحد أنّ إبراهيم هنانو أحد مناضلي سورية العظماء، الذين واجهوا الاحتلال الفرنسي لسورية، فكان الشّاعر مُعتزّاً ببطولاته، وكانت وفاته صدمة لكل من آمن بالوطن، ولكلّ من عرفه، وقد جاء رثاء عمر أبو ريشة للمناضل هنانو في الذكرى السّنويّة الأولى لوفاته، وقد شكّلت الألفاظ الآتية الحقل الدّلاليّ للرّثاء:

الألفاظ الدّالّة على الرّثاء
غيّبته، الأقدار، اللحود، الموت، صريع، الألم الشّديد

وقد ترابطت عناصر هذا الحقل بعلاقات دلاليّة، تمثّلت بالتّرادف في قوله: (نم، كبا)، فهو "تضمين نسقيّ"[4] يبرز الرّغبة في التّوضيح، فالشّاعر في سياق رثاء شخصيّة بطوليّة يحاول أن ينسج من مفرداته وعلاقاته ما يُبرز هول فَقْد الأبطال.

وقد رثى الشّاعر عدداً من الشّخصيّات الأدبيّة، لأنّ فَقْدَ الأديب يعني توقّف عطائه الأدبيّ الذي كان مؤثراً بين النّاس، ومن ذلك ما قاله في قصيدة له[5]: [من المتقارب]

سُراكَ على مَلعَبِ الأنجُمِ مع الغيبِ والأَبد الأكرمِ

---

[1] عكوشي، هدى: تأثير الحقول الدّلاليّة في تحقيق المعنى داخل الرّسالة الإعلاميّة، مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، المجلّد 11، العدد2، 2021م، ص179.

[2] إبراهيم بن سليمان آغا هنانو، 1896-1935م، أبو طارق، من كبار المجاهدين في الثورات الاستقلالية في سورية، ولد في بلدة كفر حارم غرب حلب،

[3] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، **ص121-122**.

[4] بالمر، أف. آر: علم الدّلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصريّة، 1985م، ص103.

[5] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص420.

وزهوكَ يُخفي ضِمَادَ الجراحِ ويغسلُ بالسِّرّ نزفَ الدَّمِ

وقد تكوّن حقل الرّثاء في النّصّ السّابق من الألفاظ الآتية:

الألفاظ الدّالّة على الرّثاء
الغيب، الجراح، نزف الدّم

وقد برزت في هذا النّصّ العلاقات الدّلاليّة التي ربطت بين عناصره، ومنها: التّنافر في قوله: (يُخفي، السّرّ)، والتّضاد بين (ضماد، الجراح)، وهذا يُشير إلى مكانة الفقيد الواضحة لدى الشّاعر؛ لذا كان وصفه له بهذا القدر من التّمجيد ليبرز عمق الفَقْد، وفداحة موت شخصيّة أدبيّة كبولس سلامة.

ورثى الشّاعر الأقارب والأصدقاء، وهذا النّوع من الرّثاء "من أقدم صور الرّثاء في شعرنا العربيّ، نظم فيه الرّجال والنّساء"[1]، وقد وقفنا على رثاء الأصدقاء والشّخصيّات الدّينيّة والأدبيّة، وفي هذه الأسطر الآتية سنقف على رثائه لقريب جداً منه، إنّه والده الذي افتقده وشعر بأوج فقده، فنظم له قصيدة مؤثّرة، وقد كتبها على قبر والده راثياً إيّاه[2]: [من السّريع]

ناداك تحناني فما أسمعَك فاذهب فداك الشّوق، قلبي معكْ

سرنا معاً حيناً، وخلّفتني وحدي على الدّرب الذي ضيَّعكْ

أرنو إلى الدّنيا وآفاقها فما أراها جاوزت مضجعك

حسبي منها موعد في المسا أفهم فيه سرّ ما استودعك

تكوّن الحقل الرّثائيّ من الآتي:

ضيّعك، الدّنيا، مضجعك، موعد، استودعك

وقد بناه وفقاً للعلاقات الآتية:

- التّرادف: (تحناني، الشّوق)
- التّضاد: (معاً، وحدي)

وهذا يعمّق إحساس الشّاعر بالفقد والقهر، وروعة استحضاره معاجم يبنيها بما يثري تجربته ويجعل قارئه أكثر تأثّراً به.

يعبّر المقطع السّابق عن الحزن الشّديد جرّاء الفَقد، وقد كانت فجيعة الشّعراء "واضحة الدّلالة على كلّ راحل من رجالات الأمّة"[3]، فنصّه مزيج من الحزن والشّوق، وكأنّه يرثي بصوت رومانسيّ محتدم، فقوله: (ندى

[1] عبد الرّحيم، رائد مصطفى حسن: فنّ الرّثاء في الشّعر العربيّ في العصر المملوكيّ الأوّل، دار الرّازي، عمّان – الأردن، ط1، 1424هـ–2003م، ص5.

[2] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص59.

[3] سالم، عبد الرّشيد عبد العزيز: شعر الرّثاء العربيّ واستنهاض العزائم، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982م، ص9.

كتحناني فما أسمعك) مصوّراً فقدان الصّوت أو الرّدّ، وهذا يعكس الحزن والشّوق، ثمّ يأتي قوله (فاذهب فداك الشّوق قلبي معك)، مؤكّداً تفاني الحبّ والوفاء بعد الفَقد عبر عنصر رثائي يركّز على الألم الدّاخليّ، وقوله: (صرنا معاً حيناً وخلَفتني وحدي على الدّرب الذي ضيّعك)، مصوّراً الوحدة بعد الفَقد والفراق، لكنّه حين قال (أرنو إلى الدّنيا وآفاقها فما أراها) مصوّراً شعور الاغتراب والفراغ بعد رحيل المحبوب، مصوّراً حزنه بطريقة فلسفيّة، وقوله: (حسبي منها موعد في المساء... مستودعك) إشارة للسّعي الحثيث في البحث عن أثر الحبيب وذكراه، ممّا يعكس الحنين واستمرار الرّثاء الموحي، مستحضراً مترادفات (الذّهاب، الرّحيل، الضّياع) لتعميق مشهد الفقد والانفصال، ومترادفتي (الدّنيا، آفاقها) لإبراز انتشار أثر الفَقْد العاطفي، الرافق لمترادفتي (السّر، مستودعك)، بما توحيان إليه من فَقْد وخفاء، وهنا تولّد الصّراع الذي استحضر به الشّاعر (معاً، وحدي) تضاداً يصوّر أثر الفَقْد، وكذلك (الذّهاب، البقاء) لإبراز الصّراع الوجوديّ، معمّقاً اغترابه الدّاخليّ بعد فَقْده من يحبّ ويُقدّر.

وقال في قصيدة له[1]: [من الخفيف]

من يقول: انتهى إميل وولّى وانطوى في الرّحى الطّحون عتاده

ضاقت الحفرة الرّحيبة عنه كلّ لبنان مهده ووساده

لقد "جاءت القصيدة التي سجّلت غياب (إميل البستاني) 1963، إطلالة على الوطن العربيّ، فهي ... تحمل بُعداً سياسيّاً واضحاً للمتلقّين إبّان الحادثة، ويمكن أن تتجدّد لدى متلقّي اليوم بعد أن يعرف هذه الشّخصيّة الاقتصاديّة والفكريّة والدّور الذي كان مهيّأً له في لبنان المتعاظمة فيه الرّياح!!"[2].

وقد استحضر الشّاعر الحقل الرّثائيّ في هذه القصيدة على وفق الآتي:

انتهى، انطوى، ضاقت، الحفرة

وقد بني هذا الحقل وفقاً للآتي:

- التّرادف: و (انتهى، ولّى)
- التّضاد: (ضاقت، الرّحيبة)
- الاشتمال: (مهده، وساده)

يبرز حقل الحرب والقوّة من خلال مفردات الطّعن المكوّنة من الألفاظ الآتية: (الرّحى، الطّعان، الطّحون، طراده)، فتراءت السّمة الدّلاليّة العامّة متمثلة بالصّراع والحركة والشّدّة، وكان حقل الموت والفناء متجلّياً بمفردات منها: (انتهى، ضاقت، الحفرة، ...) فتكوّنت السّمات الدّلاليّة على النّهاية والتّحوّل والزّوال، أمّا حقل الرّاحة فقد تراءى عبر مفردتَي (مهده، وساده)، مكوّناً سمات دلاليّة تشير إلى السّكون والثبات والرّاحة، ثمّ نجد حقل الزّمن مفردات مراده (ولّى، انتهى) مشيرة إلى الزّمن والاستمرار والتّحوّل، وكلّ ذلك تمّ بترادف دلاليّ جزئيّ بين الطّحن والطّعان المشيرتين إلى صراع، و (مهد ووساد) المشيرتين إلى الرّاحة، وهناك أيضاً التّضاد في قوله: (الطّحون، المهد) بين الحركة والسّكون، وقد أطلق د. محمّد العبد على الطّباق اسم التّقابل اللفظيّ، وهو مرتبط "بطبيعة لغة الشّعر ارتباطاً حميماً، من حيث

[1] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص116-117.

[2] الدّاية، فايز: دلالات السّيرة والأسلوب – عمر أبو ريشة، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق – سورية، 2018م، ص78.

تميّزه بالتّعبيريّة، وقدرته على الإيحاء، وإثارة الانفعال، وتمثيل التّباين السّطحيّ والعميق في الصّورة والحدث، من خلال الجمع الفجائي المباشر بين وحدتين متقابلتين"[1]، فالمقطع بني على شبكة من العلاقات الدّلاليّة المتقابلة بين حقول الصّراع والفناء، وكلّ وحدة معجميّة أسهمت في تحديد بنية تقابليّة عزّزت الدّلالة على الصّراع الدّاخليّ في حقل الرّثاء.

وقال في رثاء الملك غازي[2] في الجامعة السّوريّة بدمشق[3]: [من الخفيف]

شهقة في الدّجى وراء البوادي روّعت خاطر الضّحى المتهادي

فأفاقت بغداد بنت الأساطير وماجت بكبرياء الحداد

تخنق الزّفرة العنيدة في الصّدر وتجري مع الحجى باتّئاد

ليس يطوي التّاريخ صفحة مجد أنت سطرتها بأسنى مداد

وقد بني هذا الرّثاء على الحقل الرّثائيّ الآتي:

شهقة، الدّجى، روّعت، الحداد، تخنق، زفرة، يطوي

وكان هذا الحقل وفقاً لحقل بطوليّ أساسه المفردات الآتية:

بغداد، الأساطير، بكبرياء، العنيدة، اتّئاد، التّاريخ، مجد، أسنى

وقد كُوِّن هذان الحقلان بالاستناد إلى العلاقات الآتية:

- التّضاد: (الدّجى، الضّحى)
- التّنافر: (صفحة، مداد)

وهذا يشير إلى رغبة الشّاعر في إبراز أثر الملك غازي وما تركه هذا الفقد في أعماقه من لواعج القهر، فأكّد غير مرّة بقايا أثر البطولة التي خطّها الملك غازي في النّاس من بعده والتي سطرها التّاريخ بعمق وإجلال.

4- خاتمة:

شكّلت ألفاظ الرّثاء حقلاً دلاليّاً من الحقول التي لجأ إليها الشّاعر للتّعبير عن مشاهد الفَقْد والموت، واستطعنا من خلال قراءتنا نصوصه الرّثائيّة الوقوف على النّتائج الآتية:

-تكوّن حقل الرّثاء في شعر عمر أبو ريشة من مجموعة وحدات معجميّة، جمعتها سمات دلاليّة رئيسة منوطة بمعاني الفَقْد والماضي.

---

[1] العبد، محمّد: إبداع الدّلالة في الشّعر الجاهليّ- مدخل لغويّ أسلوبيّ، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط1، 1988م، ص69.

[2] الملك غازي بن فيصل الأوّل (1912-1939م) كان ملك العراق الثاني، وحكم البلاد من عام 1933 حتّى وفاته في حادث سير عام 1939م، كان شاباً محبوباً بين الشّعب، جريئاً مستقلاً، اهتمّ بتقوية الجيش العراقي، وتعزيز الوحدة الوطنيّة، وكان معروفاً بميله القومي العربيّ. ينظر: أبو ريشة، عمر: الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص90.

[3] أبو ريشة، عمر: الأعمال الكاملة، ص90-91.

– انتظمت مفردات حقل الرّثاء في مجموعات دلاليّة فرعيّة (تبكي، حزناً، يحني، قبر، الأسى) ارتبطت بعلاقات التّرادف والتّضاد، ما يُبرز وجود شبكة دلاليّة مستقرّة تتيح توصيف الحقل بوصفه بنية معجميّة محدّدة.

– اعتمدت وحدات حقل الرّثاء عند الشّاعر على خصائص مميّزة، منها: الاعتزاز بالشهداء، والفخر بالبطولة، سمحت بعزل المكوّنات الدّلاليّة المشتركة والمميّزة بين المفردات، فأسهم ذلك في تحديد حدود الحقل الدّاخليّة.

– تغيّرت القيمة الدّلاليّة لعدد من المفردات تبعاً لبنية السّياق التّركيبي، نحو: (انتهى، موعد، جرحه)، وهذا أكّد دور السّياق في إعادة ضبط علاقات الحقل الدّلاليّ للرّثاء في شعر عمر أبو ريشة.

– اتّصف الحقل الدّلاليّ للرّثاء في شعر عمر أبو ريشة ببنية دلاليّة واضحة المعالم، أساسها انتظام معجميّ دقيق.

ثبت المصادر والمراجع

1- بالمر، أف. آر: *علم الدّلالة*، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصريّة، 1985م .

2- الدّاية، فايز: *دلالات السّيرة والأسلوب – عمر أبو ريشة*، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق – سورية، 2018م.

3- دندي، محمّد إسماعيل: *عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحيّاته*، دار المعرفة، دمشق – سورية، ط1، 1408هـ- 1988م.

4- أبو ريشة، عمر: *الأعمال الكاملة- القصائد*، تحقيق: فايز الدّاية، وسعد الدّين كليب، ومحمّد قجّة، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق – سورية، ط1، 2017م.

5- سالم، عبد الرّشيد عبد العزيز: *شعر الرّثاء العربيّ واستنهاض العزائم*، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1982م.

6- عبد الرّحيم، رائد مصطفى حسن: *فنّ الرّثاء في الشّعر العربيّ في العصر المملوكيّ الأوّل*، دار الرّازي، عمّان – الأردن، ط1، 1424هـ- 2003م.

7- عبد الجليل، عبد القادر: *علم اللسانيّات الحديثة*، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م.

8- العبد، محمّد: *إبداع الدّلالة في الشّعر الجاهليّ- مدخل لغويّ أسلوبيّ*، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط1، 1988م.

9- عكوشي، هدى: *تأثير الحقول الدّلاليّة في تحقيق المعنى داخل الرّسالة الإعلاميّة*، مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، المجلّد 11، العدد2، 2021م .

10- عمر، أحمد مختار: *علم الدّلالة*، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م.

11- ابن منظور: *لسان العرب*، اعتنى بتصحيحه أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م.

12- هانيه، فولفجانج؛ ديتر، مان: *مدخل إلى علم لغة النّصّ*، ترجمة: حسن بحيري، زهراء الشّرق، القاهرة – مصر، ط1، 2004م.